القدس الشريف في الحروب الصليبية والإستعمار الصهيوني المعاصر

Al-Quds Al-Sharif

in the Crusades and Contemporary Zionist Colonialism

الأستاذ الدكتورد عبد سامي عبد الخالدي

abdsami.abdulkhalidi@aliraqia.edu.iq

رقم الموبايل 07903874996

قسم مقارنة الأديان - كلية العلوم الإسلامية - الجامعة العراقية

ملخص عربي

سواء أكان تأريخنا أعاد نفسه أولم يعدها ، فإننا اليوم نرى وبوضوح تام أن وضعنا الذي يحيط بعالمنا المعاصر لا سيما في الشرق الأدنى يجعلنا نستشعر بأننا نعيش أوضاعاً أقرب ما تكون إلى الأوضاع التي عاشها أسلافنا العرب والمسلمين قبل ما يقرب من ثمانمِائة وخمسون عاماً وبالتحديد أيام الحروب الصليبية ، الأمر الذي يتطلب منا دراسة هذه الحروب دراسة علمية دقيقة .

فإذا كنا نقف اليوم وجهاً لوجه أمام خطر الصهيونية التي أقامها الإستعمار في أرض فلسطين والتي يحرص الغرب على مساندتها وإمدادها بالمال والسلاح والرجال ليمكنها من المضي في غيِّها وعدوانها ، فإن أسلافنا أبان الحروب الصليبية وقفوا بأنفسهم أمام جيوش جاءت من الغرب إلى أرض فلسطين خاصة والشام بأسرها بصورة عامة ، واتفق الغربيُّون كذلك على إمدادها بالرجال والسلاح والمساعدات كي يضمنوا لها البقاء والإستمرار .

فالصهيونية اليوم تستهدف «وتحت ذريعة إقامة وطن قومي للصهاينة اليهود» السيطرة على جميع بلدان وطننا العربي في منطقة الشرق الأدنى ، مما يضمر إقامة دولة للصهاينة تمتد حسب عقيدتهم التوراتية من أراضي النيل إلى أراضي الفرات ، فالصليبيون في تلك الحقبة التي شهدها أجدادنا ما إن تمكنوا من تثبيت أقدامهم في أرض فلسطين حتى أخذوا ينتشرون شرقاً نحو إقليم الجزيرة والفرات وجنوباً نحو مصر والنيل [١].

إنَّ المؤرخ الحيادي ليقشعر بدنه عند دراسته للجرائم التي خلفها الصليبيون القادمون من الغرب باسم سيدنا عيسى المسيح u وهو مما ينسب إليه براء في حروبهم الصليبية في المشرق العربي، فهناك صورتان لا تفترقان في تاريخ الإنسانية ، لا تكاد تنكرها كتب الفريقين المتحاربين ، ما أسوأ الأولى وأبشعها ، وما أجمل الثانية وأروعها.

أولاهما : صورت القدس الشريف في يوم الجمعة الخامس عشر من تموز «يوليو» عام ١٠٩٩م، حيث انعدام الإنسانية ووحشية الصليبيين القادمين من الغرب الذين لم يستطع حتى مؤرخوهم المنصف أن يتجاهل تلك المذبحة التي كانت حصيلتها كما دونها التاريخ سبعين ألف شهيد

(١) ينظر : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، ط ٢ (مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٧١م) ص٦

في بيت المقدس وحده .

وثانيهما : كانت في يوم الجمعة أيضاً الموافق الثاني عشر من شهر تشرين الأول «أكتوبر» سنة ١١٨٧م ، حيت تمَّ استعادة بيت المقدس على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى ، إذ لم تسمح له أخلاقه ودينه الإسلامي أن يردَّ عليهم بمثل صنيعهم ، مُلَقِّناً الغرب الصليبي دروساً في الإنسانية وتسامح الإسلام ، فقد أذِن للصليبيين بالخروج مقابل مبلغ مالي بسيط يدفع كفدية ، أعفى منها الفقراء منهم ، بل ولم يكتفِ صلاح الدين الأيوبي بتحريرهم من غير فداء ، بل قام رحمه الله تعالى بتزويدهم بمساعدات مالية من خالص ماله [١] .

أما الإحتلال الصهيوني المعاصر للقدس الشريف فإنَّ الصهيونية لم تستطع الحصول على المساندة السياسية من جانب السلطات العثمانية في حينها والتي كانت تُشرف على الأمور في فلسطين أو من جانب أية دولة أوربية كبيرة أخرى .

إلا أن الحرب العالمية الأولى أدت إلى ظهور ظروف جديدة كان من شأنها أن تعمل على تحسين مصير الإستعمار الصهيوني في فلسطين . ذلك لأن الحرب قد مهدت الطريق لعقد تحالف في سنة ١٩١٧م بين الإمبريالية البريطانية وبين الإستعمار الصهيوني وهو التحالف الذي فتح أبواب فلسطين أمام المستعمرين الصهيونيين خلال الثلاثين سنة التالية التي تلت الحرب العالمية الأولى، كما أنه سَهَّل إقامة مجتمع من المستعمرين الصهيونيين ومَهَّدَ الطريق لنزع الممتلكات العربية وطرد الشعب العربي الفلسطيني صاحب الأرض الشرعي وإنشاء دولة المستعمرين الصهيونيين وذلك في سنة ١٩٤٨م [٢] . ولبيان هذا كله قمت مستعيناً بالله تعالى بكتابة بحثي هذا الموسوم بـ(القدس الشريف في الحروب الصليبية والإحتلال الصهيوني المعاصر) .

(١) ينظر : الحروب الصليبية أسبابها ، أحداثها ، نهايتها ، الدكتور شوقي أبو خليل ، ط١(دار الفكر – دمشق – ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) ص ٩ – ١٠ .

(٢) ينظر : الإستعمار الصهيوني في فلسطين ، الدكتور فايز صايغ ، (مطبعة أطلس – القاهرة – بلا ت) ص١٥ – ١٦ .

English summary:

Whether history repeats itself or not, it is clear that the conditions surrounding the Arab world in the Near East today make us feel that we are in a situation very similar to the situation in which our Arab and Muslim ancestors lived eight and a half centuries ago, specifically during the days of the Crusades. This requires us to study the Crusades with precise scientific study.

If we stand today face to face with the danger of Zionism, which colonialism established in the land of Palestine, and which the West is keen to support and supply with money, weapons, and men to enable it to continue in its transgression and aggression, then our ancestors at the end of the eleventh century found themselves facing a strange state that arose in the same spot in the land of the Levant, and the West was also keen to supply it with men, weapons, and aid to ensure its survival and continuity.

And if Zionism now aims - under the guise of establishing a national homeland for the Jews - to control all the Arab countries in the Near East region, which implies the establishment of a state for the Zionists extending from the Nile to the Euphrates, then the Crusaders in the Middle Ages had hardly established themselves in Palestine until they began to expand eastward in the region of the Arabian Peninsula and the Euphrates and southward in the direction of Egypt and the Nile.

The neutral historian shudders when he studies the atrocities committed by the Western Crusaders in the name of Jesus Christ, peace be upon him, of which he is innocent, in their Crusades in our Arab East. There are two intertwined images in human history, acknowledged by the books of the two warring parties. How hideous and evil the first is, and how wonderful and beautiful the second is.

The first picture: depicts Al-Quds Al-Sharif on Friday, July 15, 1099 AD, where the Crusaders were brutal, and even their historians could not ignore the massacre that resulted in seventy thousand martyrs in Al-Aqsa Mosque alone.

The second picture: It was on Friday, October 12, 1187 AD, when Al-Quds Al-Sharif

was recaptured by Al-Nasir Salah al-Din al-Ayyubi, may God have mercy on him. His Islamic morals refused to respond in kind, teaching the West a lesson in the tolerance of Islam and its humanitarian spirit. He allowed the Crusaders to leave in exchange for a simple ransom, from which he exempted the poor among them. Salah al-Din al-Ayyubi did not just release them without ransom, but also gave them financial aid from his own money.

As for the contemporary Zionist occupation of Jerusalem, Zionism was unable to obtain political support from the Ottoman authorities at the time, which were supervising affairs in Palestine, or from any other major European country.

However, World War I brought about new circumstances that would have improved the fate of Zionist colonialism in Palestine. This was because the war paved the way for an alliance in 1917 between British imperialism and Zionist colonialism, an alliance that opened the doors of Palestine to Zionist colonists for the next thirty years following World War I. It also facilitated the establishment of a community of Zionist colonists and paved the way for the dispossession of Arab property, the expulsion of the Palestinian Arab people, the legitimate owners of the land, and the establishment of a Zionist colonist state in 1948.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ومن سار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد ...

سواء أكان تأريخنا أعاد نفسه أولم يعدها ، فإننا اليوم نرى وبوضوح تام أن وضعنا الذي يحيط بعالمنا المعاصر لا سيما في الشرق الأدنى يجعلنا نستشعر بأننا نعيش أوضاعاً أقرب ما تكون إلى الأوضاع التي عاشها أسلافنا العرب والمسلمين قبل ما يقرب من ثمانمِائة وخمسون عاماً وبالتحديد أيام الحروب الصليبية ، الأمر الذي يتطلب منا دراسة هذه الحروب دراسة علمية دقيقة .

فإذا كنا نقف اليوم وجهاً لوجه أمام خطر الصهيونية التي أقامها الإستعمار في أرض فلسطين والتي يحرص الغرب على مساندتها وإمدادها بالمال والسلاح والرجال ليمكنها من المضي في غيِّها وعدوانها ، فإن أسلافنا أبان الحروب الصليبية وقفوا بأنفسهم أمام جيوش جاءت من الغرب إلى أرض فلسطين خاصة والشام بأسرها بصورة عامة ، واتفق الغربيُّون كذلك على إمدادها بالرجال والسلاح والمساعدات كي يضمنوا لها البقاء والإستمرار .

فالصهيونية اليوم تستهدف «وتحت ذريعة إقامة وطن قومي للصهاينة اليهود» السيطرة على جميع بلدان وطننا العربي في منطقة الشرق الأدنى ، مما يضمر إقامة دولة للصهاينة تمتد حسب عقيدتهم التوراتية من أراضي النيل إلى أراضي الفرات ، فالصليبيون في تلك الحقبة التي شهدها أجدادنا ما إن تمكنوا من تثبيت أقدامهم في أرض فلسطين حتى أخذوا ينتشرون شرقاً نحو إقليم الجزيرة والفرات وجنوباً نحو مصر والنيل [١] .

إنَّ المؤرخ الحيادي ليقشعر بدنه عند دراسته للجرائم التي خلفها الصليبيون القادمون من الغرب باسم سيدنا عيسى المسيح u وهو مما ينسب إليه براء في حروبهم الصليبية في المشرق العربي، فهناك صورتان لا تفترقان في تاريخ الإنسانية ، لا تكاد تنكرها كتب الفريقين المتحاربين ، ما أسوأ الأولى وأبشعها ، وما أجمل الثانية وأروعها.

---

(١) ينظر : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، ط٢ (مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٧١م) ص٦

أولاهما : صورت القدس الشريف في يوم الجمعة الخامس عشر من تموز «يوليو» عام ١٠٩٩م، حيث انعدام الإنسانية ووحشية الصليبيين القادمين من الغرب الذين لم يستطع حتى مؤرخوهم المنصف أن يتجاهل تلك المذبحة التي كانت حصيلتها كما دونها التاريخ سبعين ألف شهيد في بيت المقدس وحده .

وثانيهما : كانت في يوم الجمعة أيضاً الموافق الثاني عشر من شهر تشرين الأول «أكتوبر» سنة ١١٨٧م ، حيت تمَّ استعادة بيت المقدس على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى ، إذ لم تسمح له أخلاقه ودينه الإسلامي أن يردَّ عليهم بمثل صنيعهم ، مُلَقِّناً الغرب الصليبي دروساً في الإنسانية وتسامح الإسلام ، فقد أذِن للصليبيين بالخروج مقابل مبلغ مالي بسيط يدفع كفدية ، أعفى منها الفقراء منهم ، بل ولم يكتفِ صلاح الدين الأيوبي بتحريرهم من غير فداء ، بل قام رحمه الله تعالى بتزويدهم بمساعدات مالية من خالص ماله [١] .

أما الإحتلال الصهيوني المعاصر للقدس الشريف فإنَّ الصهيونية لم تستطع الحصول على المساندة السياسية من جانب السلطات العثمانية في حينها والتي كانت تُشرف على الأمور في فلسطين أو من جانب أية دولة أوربية كبيرة أخرى .

إلا أن الحرب العالمية الأولى أدت إلى ظهور ظروف جديدة كان من شأنها أن تعمل على تحسين مصير الإستعمار الصهيوني في فلسطين . ذلك لأن الحرب قد مهدت الطريق لعقد تحالف في سنة ١٩١٧م بين الإمبريالية البريطانية وبين الإستعمار الصهيوني وهو التحالف الذي فتح أبواب فلسطين أمام المستعمرين الصهيونيين خلال الثلاثين سنة التالية التي تلت الحرب العالمية الأولى ، كما أنه سَهَّل إقامة مجتمع من المستعمرين الصهيونيين ومَهَّدَ الطريق لنزع الممتلكات العربية وطرد الشعب العربي الفلسطيني صاحب الأرض الشرعي وإنشاء دولة المستعمرين الصهيونيين وذلك في سنة ١٩٤٨م [٢] . ولبيان هذا كله قمت مستعيناً بالله تعالى بكتابة بحثي هذا الموسوم بـ(القدس الشريف في الحروب الصليبية والإحتلال الصهيوني المعاصر) .

أولاً : أسباب اختيار الموضوع .

١- مكانة القدس الشريف وأهميتها في نفوس العرب والمسلمين.

---

(١) ينظر : الحروب الصليبية أسبابها ، أحداثها ، نهايتها ، الدكتور شوقي أبو خليل ، ط١(دار الفكر – دمشق – ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) ص ٩ – ١٠ .

(٢) ينظر : الإستعمار الصهيوني في فلسطين ، الدكتور فايز صايغ ، (مطبعة أطلس – القاهرة – بلا ت) ص١٥ – ١٦ .

٢- لبيان أهم الدوافع والأسباب التي أدت إلى الحروب الصليبية والإستعمار الصهيوني المعاصر للقدس الشريف .

٣- لبيان الظلم والقمع الذي تعرض له شعبنا الفلسطيني أثناء الإحتلالين الصليبي والصهيوني اللذين يدعيان بأنهما دعاة الحق والإنسانية .

ثانياً : حدود البحث .

تنحسر حدود البحث في نطاق الحروب الصليبية والإحتلال الصهيوني المعاصر فقط ، دون التطرق إلى عدد المرات التي تم فيها احتلال القدس الشريف

ثالثاً : أهمية الدراسة .

١- كون القدس الشريف هو قضية العرب والمسلمين الجوهرية الأولى .

٢- تبرز أهمية الدراسة كونها تسعى إلى بيان موقف الشعب الفلسطيني الرافض للإحتلالين الصليبي والصهيوني المعاصر .

٣- ترسيخ روح المقاومة في نفوس أطفال الحجارة والأجيال القادمة بأن المعركة مع العدو الصهيوني المحتل لن تنتهي إلا بتحرير القدس الشريف .

رابعاً : الدراسات السابقة .

لم أقف على كتاب أو بحث جمع بين الإحتلالين الصليبي والصهيوني المعاصر للقدس الشريف ، إلا ما نشر في الأنترنت عن عنوان فقط لبحث بعنوان (القدس بين الاحتلال الصليبي والإحتلال الصهيوني) للباحثة (ميمونة عبد المعز حرير) دبلوم الدراسات الفلسطينية – أكاديمية دراسات اللاجئين ٢٠١٨ – ٢٠١٩م ، إلا أنني لم أقف على هذا البحث منشوراً أو مطبوعاً حسب ما توفر لدي من مصادر ، وكذلك من خلال بحثي عنه في الأنترنت .

خامساً : خطة البحث .

قمت بتقسيم بحثي هذا على مقدمة ومبحثين وخاتمة وكما يأتي :

المقدمة : بيَّنت فيها أسباب اختياري للموضوع ، وحدود البحث ، وأهمية الدراسة ، والدراسات السابقة .

المبحث الأول : الحروب الصليبية دوافعها وأهم أسبابها . ويشتمل على مطلبين .

المطلب الأول : البابا أوربان الثاني ودوره في تأجيج الحروب الصليبية .

المطلب الثاني : دوافع الحروب الصليبية وأهم أسبابها .

المبحث الثاني : الاحتلال الصهيوني المعاصر للقدس الشريف . ويشتمل على مطلبين .

المطلب الأول : وعد بلفور المشؤوم .

المطلب الثاني : ممارسات الإحتلال الصهيوني الإرهابية ضد الفلسطينيين .

أما الخاتمة فقد بيَّنت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال كتابتي لهذا البحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

المبحث الأول
الحروب الصليبية دوافعها وأهم أسبابها

المطلب الأول: البابا أوربان الثاني ودوره في تأجيج الحروب الصليبية

في سنة ٤٨٠هـ الموافق ١٠٨٨م تولى الكرسي البابوي شخصية من الشخصيات المهمة في كنيسة الغرب الكاثوليكية ، وكان لولايته الأثر الكبير في أن تغيِّر مجريات التاريخ . بل وأكثر من ذلك الآثار التي أحدثتها سيرته البابوية والتي ما زالت تذكر حتى يومنا هذا .

والشخصية هذه هو البابا أوربان الثاني الذي تولى منصب الكرسي البابوي في كنيسة روما ما يقارب الإحدى عشرة سنة ، أي من سنة ٤٨٠هـ - ١٠٨٨م إلى سنة ٤٩٢هـ - ١٠٩٩م . وهذا البابا هو من اتخذ قرار شن الحروب الصليبية على مشرقنا العربي والإسلامي [١] .

والبابا أوربان الثاني هذا كان شخصاً ذكيَّاً سياسيَّاً محنَّكاً لَبِقاً ، وكان خطيباً مفوَّهاً ، وكان ذو جرأة حاسماً ، وكان على اطلاع بما يدور حوله من أحوال العالم المعاصر له ، وفوق كل هذا كان يُكِنُّ الحقد الكبير على الإسلام والمسلمين ، سواء في بلاد المشرق العربي حيث كانوا يحكمون أرض السيد المسيح u أو هناك في بلاد الأندلس حيث كان المسلمون يحكمون تلك البقعة الأوربية المهمة على مدار ما يقارب أربعة قرون متوالية حتى زمان توليه كرسي البابوية . وكان أوربان الثاني رجلاً ذا طموح لا حد له ، وأحلام واسعة ليكون هو نفسه الزعيم الأكبر والأوحد للمسيحين كافة في العالم بأسره ، وذلك من خلال توحيده للكنيستين الغربية والشرقية ، استكمالاً للجهود التي بذلها البابا الذي سبقه وهو البابا جريجوري السابع [٢] .

لم يكن البابا أوربان الثاني على وفاق مع كثير من ملوك أوربا ، لا سيما الملك هنري الرابع ملك ألمانيا ، إلا أنه كانت تربطه علاقات طيبة مع بعض أمراء الإقطاعيات ، لا سيما الأمراء في إقطاعيات فرنسا ، ولذلك اتخذ البابا قراراً استغل فيه علاقاته هذه التي تربطه مع الأمراء في فرنسا

---

(١) ينظر : الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، دكتور محمد مؤنس عوض ، ط١(عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية – الجيزة – ١٩٩٩ – ٢٠٠٠م) ص٦٦ .

(٢) ينظر : قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي ، دكتور راغب السرجاني ، ط٢(مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة – القاهرة – ٢٠٠٩م) ص٥٠ .

فعقد مؤتمراً له هناك [١] .

ففي يوم ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٠٩٥م وأمام مجمع عقد في كليرمون هذه المدينة الصغيرة في الجنوب الفرنسي والتي تقع على بعد «٣٣ كم» تقريباً من باريس ، والتي أصبحت فيما بعد رمزاً إلى بداية حركة من أكبر الحركات في التاريخ الغربي الأوربي في تلك العصور ، كما أن هذا اليوم يوم السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني كان يمكن أن يطوى وإلى الأبد في سجلات النسيان والتي طوت أياماً كثيرة مشابهة ، إلا أنه أصبح نقطة البداية لهذه الحركة التي مثلت ظاهرة تاريخية تغري المؤرخين والباحثين بدراستها . فقد كان البابا أوربان قد أعدَّ مسبقاً خطبة بمناسبة الإحتفال بانتهاء الأعمال التي ناقشها مجمع كليرمون في جنوب فرنسا على مدى الأيام الماضية منذ بداية انعقاده في اليوم الثامن عشر من شهر تشرين الثاني ، والذي يبدو أن البابا قد أعدَّ نفسه للدعوة إلى حملة عدَّها في نظره حملة مقدسة تسير تحت راية الصليب قد هيأ نفسه لمثل هذا اليوم واستعد الاستعداد الذي يحقق له النجاح ، حيث إنه طلب من أساقفة ومقدمي الأديرة الفرنسيين أن يدعو كبار الأمراء الإقطاعيين في مناطقهم لسماع خطبة البابا ، وما زال التاريخ يحفظ لنا العديد من الوثائق التي تضمنت مراسلات البابا أوربان بهذا الشأن [٢] .

لقد خطب البابا أوربان الثاني خطبة طويلة وصفت حينها بالعصماء ، فقد كان البابا بليغاً في خطبته هذه مفوَّهاً شدَّ الجموع الحاضرة لسماعها بأسلوبه الفريد ، حيث صبرت تلك الجموع في البرد الشديد ، بل وأكثر من ذلك حيث إنها تفاعلت تفاعلاً كبيراً مع كلمات البابا الذي ضرب على أكثر من وتر حسَّاس في خطبته ، كل ذلك ليؤثر في الحضور كافة على اختلاف نوعياتهم ومستوياتهم وظروفهم وأهدافهم [٣] .

جاء في خطبة البابا أوربان الثاني وفي أكثر من رواية من تلك الروايات الأوربية التي صوَّرت ذلك الحدث المهم ، واستخدم فيها أكثر من وسيلة ليقنع الحاضرين فيها بضرورة التوجه إلى أرض فلسطين المقدسة لنجدة إخوانهم النصارى الشرقيين ، وكذلك حماية الحجاج المسيحيين الذين يعانون «كما يدَّعي البابا» من اعتداء وبطش الكفار «يريد بهم المسلمين» ، وكذلك من المؤثرات التي تم استخدمها من قبل البابا أوربان الثاني في خطبته أنه لا يتكلم في خطبته هذه نيابة عن

(١) ينظر : ماهية الحروب الصليبية ، د. قاسم عبده قاسم ، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ١٩٧٨م) ص٧٦ .

(٢) ينظر : ماهية الحروب الصليبية ص٩٠ .

(٣) ينظر : قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي ص٥٥ .

نفسه ، وإنما يتكلم نيابة عن السيد المسيح u نفسه ، فقال مثلاً : «ومن ثَمَّ فإنني لست أنا ، ولكن الرب هو الذي يحثكم باعتباركم وزراء المسيح أن تحضوا الناس من شتى الطبقات» (١).

واستخدم فيها نصَّاً من إنجيل لوقا فيه : «ومن لا يحمل صليبه ، ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون تلميذاً» (٢) .

ومن المؤثرات التي استخدمها البابا أوربان أيضاً أنه وعد الذين يشاركون في هذه الحملة بغفران الذبوب جميعاً ، وهذا لا شك هو مطلب تنشده الجماهير في ذلك الوقت ، لا سيما وأن الناس كانوا يشعرون بأن الدنيا فانية عما قريب ، وكذلك كان من كلامه في هذه النقطة بالذات أنه قال : «إني أخاطب الحاضرين ، وأعلن لأولئك الغائبين فضلاً عن أن المسيح يأمر بهذا ، أنه سوف يتم غفران ذنوب كل أولئك الذاهبين إلى هناك ، إذا ما انتهت حياتهم بأغلالها الدنيوية ، سواء في مسيرتهم على الأرض ، أو أثناء عبورهم البحر ، أو في خضم قتالهم ضد الوثنيين «يقصد المسلمين» ، وهذا الغفران أمنحه لكل من يذهب بمقتضى السلطة التي أعطاني الرب إياها» . وهو في هذا المقام يقول للجميع : «إنكم في كل الأحوال محققون للفائدة والخير ، فحتى لو وصل الأمر لحد الموت ، فإن المشارك سيموت وهو مغفور الذنب» (٣) .

ومن الأمور المؤثرة أيضاً والتي استخدمها البابا في خطبته أنه بالغ في تصوير إدعائه بمدى الآلام والمعاناة التي يعاني منها الحجاج المسيحيون في أرض فلسطين ، وكل هذا من باب الكذب والزور والبهتان ، حيث إنَّه صوَّر القضية كقضية إنسانية مؤثرة .

ومن المؤثرات أيضاً أنه أشار وبوضوح تام بالثراء الذي عليه بلاد المشرق العربي ، حيث ذكر للحاضرين ماجاء في كتابهم المقدس عن الأرض المباركة في فلسطين ، فقال : «ووهبنا هذه الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً» (٤) ، «يريد فلسطين» ، وبهذا حرَّك عواطف ومشاعر الأمراء والفقراء على حدٍّ سواء ، فالأمير لا شك يبحث عن التوسع والتملك ، والفقير حتماً يبحث عن الحياة .

لقد تحدَّث البابا أوربان الثاني بصفته هذه كي يحث فرسان النصارى على أن يشنوا الحروب كما يدعي في سبيل السيد المسيح u ، وبرر الحروب هذه بأن من أهم أهدافها هو تحرير كنيسة المشرق من قبضة المسلمين ، وإنقاذ الأراضي المقدسة من سيطرتهم ، وامتدح البابا شجاعة

(١) ينظر : ماهية الحروب الصليبية ص٩١ .

(٢) إنجيل لوقا ١٤ : ٢٧ .

(٣) ينظر : قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي ص٥٦ .

(٤) سفر التثنية ٢٦ : ٩ .

الفرنجة كما امتدح قدراتهم القتالية وذكرهم بأمجاد أسلافهم ، ولكنه أدان حروبهم بعضهم ضد بعض ، واقتتالهم المستمر ، وحثهم على نبذ المنازعات وعدم إراقة الدماء المسيحية مقارناً بين الفارس الجديد الذي يحب المسيح ويحمل صليبه ، ويحب جاره ويناضل من أجل تحريره ، والفارس القديم الذي كان يسعى وراء طموحاته الخاصة وأطماعه الشخصية ، فيصب العنف على إخوانه المسيحيين (١) .

والحقيقة أن الخطبة الحماسية والعاطفية التي ألقاها البابا ، وبما تضمنتها من إشارات بالمكاسب المادية والدنيوية وكذلك الترغيب في مكاسبها الدينية الأخروية ، قوبلت باستحسان واستجابة فورية هائلة من حشود الحاضرين . والإستجابة هذه لم تكن ناتجة عن بلاغة وفصاحة البابا نفسه وقوة بيانه ، بقدر ما عُدَّت تعبيراً عن ما قام به البابا من طرحه مشروعاً أمام أبناء الغرب الكاثوليكي الذين طال انتظارهم إياه . حيث كانت الدعوة للقيام بالحملة الصليبية هذه دعوة تناسب ذلك العصر تماماً ، إذ إن المجتمع الإقطاعي آنذاك بغطرسته وكبريائه ، وتعصبه ضد الذين لا ينتمون للمذهب الكاثوليكي ، كان على أتم الإستعداد لتلبيته مثل هكذا نداء يحل مشكلته في الدنيا ، وكذلك يضمن له الكسب والمغامرة ، كما ضمن له خلاص الروح وتطهيرها من الذنوب . وقد تجسدت روح الحماسة والشعور العاطفي الَّذين أيقظتهما كلمات خطبة البابا أوربان في صيحة رددتها حشود الحاضرين في ذلك الحقل الفسيح «الرب يريدها» ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت تلك هي صرخة الحروب التي يرددها الصليبيون في كل حروبهم ضد الإسلام والمسلمين . ولجأ الكثيرون إلى البابا يحلفون أمامه على أن يقوموا بتلك الرحلة ، وأخذ كثيرون منهم يخيطون صلباناً من القماش على ستراتهم رمزاً لأخذهم شارة الصليب . وتم الإعتراف بالفرسان كافة الذين أقسموا على أنهم سيذهبون كجنود في جيش الرب وذلك في احتفال يعد رمزياً ، وأصبحت شارة الصليب تعد شارة لكل فارس يشارك في كل حملة صليبية ، وكون الصليب يعدُّ رمزاً دينيَّاً لذا كان له مغزيان .

أولهما : كونه علامة على حصول الحماية الإلهية للفرسان ، أي كون الصليب إشارة تدل على أن من يحمله ينتمي إلى جماعة خاصة ، جماعة من الحجاج الذين يتمتعون بامتياز يحق لهم فيه حمل السلاح .

(١) ينظر : ماهية الحروب الصليبية ص٩١ .

وثانيهما : للصليب إشارة قانونية ، لها دلالة خاصة على الإمتيازات الدنيوية ، كون الكنيسة آنذاك أصدرت أحكاماً لها أهمية كبيرة تصب في صالح الصليبيين . فعند غياب من يشارك في هذه الحملة تعفى أملاكه من الضرائب . وغالباً ما كان يمنح بعض التسهيلات في ديونه التي يدين بها ، لا سيما أن التكاليف الباهضة للرحلة قد اجبرت الكثيرين منهم على الإقتراض من أقاربه أو أصحابه ومعارفه ، أو من الكنيسة نفسها (١) .

وصل الصليبيون أسوار القدس في «٧ حزيران» «يونيو» سنة ١٠٩٩م ، وفي يوم الجمعة ١٥ تموز «يوليو» سنة ١٠٩٩م ، اقتحم الصليبيون القدس ، مرتكبين مجزرة وحشية رهيبة ، قَدَّرَ المؤرخون عدد الشهداء المسلمين في الأقصى الشريف فقط بسبعين ألف شهيد ، واعترف الأوربيون أن المجزرة هذه كانت وصمة عار في تاريخ الحملة الأولى التي قام بها الصليبيون ضد القدس الشريف ، ويُعَدُّ «جودفري بوايون» أول حاكم صليبي لبيت المقدس (٢) .

وعندما اقتحمت الجيوش الصليبية يومئذ مدينة القدس وأبادوا جميع من كان بها من المسلمين ومعهم اليهود بالقتل والذبح والإحراق . بمن في ذلك الذين احتموا بمسجد قبة الصخرة – مسجد عمر بن الخطاب الذي سبق وعقد لنصارى القدس عهد الأمان العمري ، واحترم قدسية كنيسة القيامة ، حتى لقد تحرج أن يصلي فيها ، تلبية لرغبة البطريك «صفرينيوس» كي تظل دائماً وأبداً خالصة للنصارى . كما حول الصليبيون مسجد عمر إلى بحيرة من دماء المسلمين (٣) .

المطلب الثاني: دوافع الحروب الصليبية وأهم أسبابها

إن للحروب الصليبية التي قام بها الغرب المسيحي وحملاتهم ضد المسلمين واحتلالهم القدس الشريف دوافع وأسباب لعل من أهمها ما يأتي :

أولاً : الدافع الديني .

لقد شكل الدافع الديني أحد الدعامات الرئيسية لهذه الحملة ، وكلنا نعلم وذلك من خلال دراستنا لقصص كتاب ربنا تبارك وتعالى وسنة نبيه المصطفى r بأن الحرب أزلية بين الإسلام ورافضيه ، ولن يرضَ الكثيرون بالتعايش السلمي بينهم وبين الإسلام والمسلمين حتى لو بسط

(١) ينظر : ماهية الحروب الصليبية ص٩٢ .

(٢) ينظر : الحروب الصليبية أسبابها ، أحداثها ، نهايتها ، ص٢٤ – ٢٥ .

(٣) ينظر : في فقه الصراع على القدس وفلسطين ، الدكتور محمد عمارة ، ط١(دار الشروق – القاهرة – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م) ص١٢ – ١٣ .

المسلمون أيديهم للسلم ، فلهذا ليس مستغرباً من أن يسعى البابا أوربان الثاني لشن حرب ضد المسلمين حتى ولو كانت من غير أسباب أو مبررات معينة تدفعهم للقيام بهذه الحرب ، فعدوهم الأول هو الإسلام والمسلمين والسبب هذا يكفي أن يكون مبرراً لقيامهم بهذه الحرب ، وقد كرر البابا في خطابه ألفاظاً لمَّح فيها إلى عدم اعترافه بالإسلام وأهله ، كإطلاقه لفظ الكفافرين أو الوثنيين على المسلمين ، لذلك فإننا نرى أن الدافع الديني لحملة البابا هذه ضد الإسلام والمسلمين واضح تمام الوضوح ، ولا نشك أيضاً بوضوحه عند الكثير من القساوسة والرهبان ، كما لا يخفى وضوحه أيضاً عند الكثير من القواد والأمراء . إذن فالدافع الديني هو الهدف الذي أعلنه البابا لحملته هذه ، وكذلك إنقاذ دولة بيزنطة من الإسلام والمسلمين كان سبباً من الأسباب التي تداولها الناس فيما بينهم ، فضلاً عن ادعاء البابا بأن المسلمين يقومون باضطهاد الحجيج المسيحيين ، ولا يخفى أن هذا الادعاء ما ذُكِرَ في ذلك الوقت إلا للإستهلاك المحلي في أوربا فقط [١] ، ولتحفيز الشعوب والجيوش المسيحية ، كونه لم يثبت أبداً بأن المسلمين قاموا في يوم من الأيام باضطهاد الحجيج المسيحيين ، بل على عكس ذلك فقد سجل التأريخ وبوجه عام بإن المسيحيين كانوا ينعمون بوافر الحرية سواء أكانت الحرية الدينية أو غير الدينية في ظل حكم الإسلام والمسلمين ، فلم يمنحهم الإسلام حرية الإحتفاظ بكنائسهم القديمة فقط ، بل وسمح لهم كذلك ببناء أديرة وكنائس جديدة ، حوت في مكتباتها الكثير من الكتب الدينية المتنوعة في علم اللاهوت وغيره ، والمسيحيين الذين عاشوا في ظل الدولة السلجوقية أصبحوا أسعد حالاً من إخوانهم الذين عاشوا في ظل حكم الإمبراطورية البيزنطية ذاتها [٢] .

ثانياً : الدافع الإقتصادي .

يعد هذا الدافع أيضاً من الدوافع المهمة في حملتهم الصليبية هذه ، فجموعهم الكبيرة من عامة الناس ما خرجت إلا لشعورهم بالإحباط التام من حصولهم على أي قسط من رغد الحياة في بلدانهم الأوربية ، فسارعوا بالخروج يبحثون عنها في أرض فلسطين ، وهم لن يخسروا شيئاً ، فحتى موتهم في هذه الحملة أفضل بكثير من حالتهم البائسة التي عانوا منها تحت ظلم الملوك والإقطاعيين وسلطتهم المطلقة [٣].

(١) ينظر : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ص٣٠ .
(٢) ينظر : قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي ص٦٢ .
(٣) ينظر : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ص٣٦ .

والأمراء والإقطاعيون لم خرجوا إلا بغية التملك والثراء ، فقد كانت الحروب الصليبية في أرض فلسطين تعد فرصة للكثيرين من الأمراء في أوربا وذلك لتحقيق طموحاتهم التي استحال عليهم تحقيقها في أوربا وذلك لأن القانون في أوربا في تلك الحقبة من الزمان كان يمنع من تقسيم الميراث على جميع الورثة ، بل إن الإقطاعية كانت تنتقل بأكملها إلى الإبن الأكبر بعد وفاة الأب الأمير ، كي لا تفتت ثروتهم وتقلُّ الأرض ، مما يؤدي إلى سقوط الهيبة وتشتت الكلمة (١) .

ولا شك أن الأوضا ع هذه خلقت أجيالاً من الأمراء لا أمل لديهم في التملك ، فما إن تفتحت أمامهم أبواب الحروب في أرض فلسطين حتى سارعوا بأجمعهم للحصول على ملكية ينافسوا من خلالها إخوانهم الكبار (٢) .

والدافع الإقتصادي هذا كان واضحاً أيضاً لدى تجار الموانئ في إيطاليا ، وأشهرها ميناء البندقية وميناء بيزا وجنوة ، وكذلك تجار مدينة مرسيليا الفرنسية وغيرهم من التجار في أوربا ، وهؤلاء التجار رأوا أن الفرصة لتحقيق المصالح الذاتية لهم ، ولو كان ذلك على حساب الكنيسة والبابوية ، وتبادل المصالح كان واضحاً جداً بين هؤلاء التجار وبين الكنيسة ، ومن المعلوم أن الصليبيين لن يستطيعوا الإستغناء أبداً عن معونة أساطيلهم البحرية ، وإن التجار سيأخذون مقابلاً باهض الثمن نظير هذه المعونة ، وهذا المقابل غالباً ما يكون عبارة عن امتيازات خاصة تُعطى للدولة التي تسهم في الحروب المتواصلة هذه ، ولم تكن تلك الإمتيازات تشتمل على حرية التجارة في البلدان المفتوحة فقط ، بل كانوا يُمنحون في كل مدينة يتم فتحها شارعاً وسوقاً وفندقاً يحتوي على حمام ومخبز خاص ، وكان التسابق والتنافس بين جمهوريات إيطاليا في هذا المجال كبيراً جداً ، بل كان أيضاً التصارع والتقاتل ، وما لبثت مدينة مرسيليا أن سارت على نهجهم ، وتسابقت وتنافست معهم وأخذت هذه المدينة امتيازات قوية في مدينة القدس ذاتها (٣).

نتيجة لهذا اصطبغت الحملة الصليبية من أول أمرها بصبغة اقتصادية استغلالية واضحة . فكثير من المدن والجماعات والأفراد الذين أبدوا تأييدهم لتلك الحملة وأعلنوا مشاركتهم فيها ونزحوا إلى جهة الشرق ، لا شك أنهم لم يفعلوا ذلك حبَّاً منهم في خدمة الصليب وحرب المسلمين ، وإنما سعياً وراء جمع المال وجمع الثروات ومن أجل إقامة مستعمرات ومراكز مرموقة وثابتة لهم

---

(١) ينظر : أوربا العصور الوسطى ، دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، (مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٥٩م) ٤٩/٢ – ٥٠ .

(٢) ينظر : قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي ص٦٣ .

(٣) ينظر : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ص٣٦.

في قلب وطننا العربي ، من أجل استغلال تلك الموارد والمتاجرة فيها ، ولكي يحصلوا على أكبر قدر ممكن من الثروة [١] .

ثالثاً : الدافع الاجتماعي .

تألف المجتمع الأوربي في «العصور الوسطى» من ثلاث طبقات : الطبقة الأولى هي طبقة رجال الدين من الديريين والكنسيين ، والطبقة الثانية طبقة المحاربين من الفرسان والنبلاء ، والطبقة الثالثة هي طبقة تتكون من الفلاحين ومن الأقنان [٢] ومن رقيق الأرض . والطبقتان الأولتان هما الطبقتان اللتان تشكلان أقلية تمثل في مجموعها الهيئة الحاكمة من وجهة النظر الأرستقراطية والسياسية السائدة من وجهة النظر الاجتماعية ، في حين استمرت طبقة الفلاحين تمثل غالبية الشعب الأوربي المغلوبة على أمرها ، والتي كان على أفرادها أن يستمروا في العمل والشقاء كي يسدوا بعملهم وشقائهم هذا حاجة طبقة رجال الدين وطبقة الفرسان والنبلاء [٣].

والواقع أن الآلاف من طبقة الفلاحين الذين عاشوا في غرب أوربا عيشة الذل والهوان في ظل نظام الضيعة ، حيث قاموا بتشييد أكواخ لأنفسهم وصفت بالقذرة شيَّدوها من فروع الأشجار وجذوعها وقاموا بتغطية أرضيتها وسقوفها بالقش والطين ، كما أنها لا تحتوي على نوافذ وليس بداخلها أثاث ، فيما عدا صندوق واحد صغير مصنوع من الخشب وكذلك بعض الأدوات المعدنية والفخارية . ومعظم أؤلائك الفلاحين كانوا من العبيد والأقنان الذين ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالأرض التي يعملون عليها ، وقضوا حياتهم محرومين من أبسط مبادئ الحرية الشخصية ، فكل ما يجمعه القن يعد ملكاً خاصاً للسيد الإقطاعي لأن القن محروم ، حتى من حق الملكية الشخصية [٤] .

واستمرت غالبية الناس العظمى في غرب أوربا يَعيشون حياة فيها من المشقة ما فيها ومليئة بالذل وبالهوان . وفي الوقت الذي علت فيه الدعوة للحروب الصليبية ، وجد أولائك الألوف من البؤساء في الغرب الأوربي فرصتهم قد آن أوانها للتخلص مما كانت تعاني فيه من نكد الدنيا وذل العيش. ومهما يكن في تلك الدعوة الجديدة وما يحيق بها من أخطار ، فإن أخطارها تلك هانت أمام الذل والهوان والفاقة التي كتب على عوام الناس أن يعيشوا فيها في غرب أوربا دونما أمل في

---

(١) ينظر : المرجع نفسه ص٣٧ .

(٢) أقنان : جمع قِن . والقن : العبد الذي مُلك هو وأبواه . ينظر : لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، ط٣(دار صادر – بيروت – ١٤١٤هـ) ٣٤٨/١٣ .

(٣) ينظر : أوربا العصور الوسطى ٦٣/٢ .

(٤) ينظر : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، ص٣٨ .

الخلاص . فإذا ما ماتوا في الحروب الصليبية الجديدة تلك ، فإن الموت أحب إليهم من حياة العبودية والجوعِ والذل . أما إذا وصلوا إلى الأراضي المقدسة سالمين فحياتهم الجديدة تلك لن تكون بأي حال أسوأ من حياتهم التي كانوا يحيونها فعلاً في بلدانهم الأصلية (١).

رابعاً : الدافع السياسي .

والدافع هذا هدفه هو توسيع النفوذ وقهر المنافسين فكان دافعاً رئيسياً عند البابا أوربان شخصياً ، وعند ملوك أوربا كذلك ، ولم يقف طموح الملوك هؤلاء عند شيء ، فقوَّة كل ملك فيهم تتعلق بالمساحة التي تقع تحت سيطرته ، فكل هذا دفعهم فيما بعد للمشاركة وبقوة في الحملات الصليبية المتتالية على أراضي الشرق عندما شاهدوا النجاحات التي حققتها حملتهم الأولى .

وكان ملوك أوربا يرون أن دولة بيزنطة دخلت طوراً واضحاً من أطوار الإنحلال والضعف ، فلو أنها سقطت فهذا يعني فتح الباب من جهة شرق أوربا لقوات المسلمين العسكرية ، سواء من دولة السلاجقة أو من غيرهم ، وقد يضعهم الموقف هذا بين فكي كماشة ، أي من جهة المسلمين القادمين من الشرق والمسلمين المرابطين في بلاد الأندلس ، ورغم التباطؤ من ملوك أوربا في أول الأمر وبداية الحملات الصليبية إلا أنهم تسارعوا بعد ذلك للمشاركة فيها ، بل إن البعض منهم ذهب بنفسه إلى أرض فلسطين أو إلى أرض مصر على قيادة جيوشه (٢) .

(١) ينظر : ينظر : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، ص٣٩ .
(٢) ينظر : قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي ص٦٤ .

المبحث الثاني
الاحتلال الصهيوني المعاصر للقدس الشريف

المطلب الأول: وعد بلفور المشؤوم

في الثاني من تشرين الثاني من عام ١٩١٧م أي منذ ما يقرب الـ«١٠٨» سنوات ، وقَّع «آرثر جيمس بلفور» وزير الخارجية البريطاني على وثيقة موجهة إلى اليهودي الصهيوني اللورد «أدموند دي روتشيلد» الداعم القوي للصهيونية ، وهذا نصها : «إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أنْ يكون مفهوماً بشكل واضح أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى ، وسأكون ممتناً إذا ما أحطتم الإتحاد الصهيوني علماً بهذا التصريح» . ومن الجدير بالذكر أن بلفور ليس هو من صاغ الوعد الشهير الذي اقترن باسمه، إنما صاغته لجنة صهيونية مكونة من «ناحوم سوكولوف وهربرت صموئيل وحاييم وايزمان» وغيرهم ، وقدمت ست صيغ مشاريع للتصريح من قبل الحركة الصهيونية إلى أن تم اعتماد صيغة نهائية [١] .

بهذا التصريح الذي يتكون من «١١٧» كلمة حسب ما ورد في النص الإنجليزي ، أو «٧٢» كلمة حسب وروده في النص العربي ، بهذا الوعد غيَّر المدعو «بلفور» جغرافية وتاريخ منطقة بالكامل ، فقد أدت نتائج هذا الوعد إلى القيام باقتلاع شعب من أرضه دونما حق أو سند أخلاقي أو قانوني ، ليُزْرَعَ مكانه وعلى أرضه شعب آخر، عمل جاهزاً على استجلابه من كل بقاع الأرض ، برواية زُيِّفَتْ بمعنييها الديني والتاريخي . وهو مادفع المؤرخ الكبير «آرنولد توينبي» إلى الإعلان إنه كمواطن إنكليزي يشعر بالندم وبالخجل الشديدين على ازدواجية المعايير الأخلاقية والتي حكمت سلوك حكومته في إقدامها على هذه الفعلة الشنيعة والمنكرة [٢].

---

(١) ينظر : المقدمات التاريخية والسياسية لوعد بلفور ، عبد الغني سلامة ، مجلة قضايا إسرائيلية ، مجلة فصلية تصدر عن (مؤسسة الأيام – رام الله - فلسطين – السنة السابعة عشر – العدد الخامس والستون – ٩١٧١م) ص٢٥ .

(٢) يتظر : مجلة قضايا إسرائيلية ص٢٥ .

إن العالم بأسره يدرك تماماً أن وعد بلفور باطل عملياًّ وموضوعيّاً . إذ إن موضوع الوعد يقوم على التعاقد مع الكيان الصهيوني لإبعاد الشعب الفلسطيني من دياره وأرضه والقيام بإعطائها إلى شرذمة غرباء ، ومن الجدير بالذكر أن من شروط التعاقد الدولي أن يكون موضوع التعاقد مشروعاً، أي أن يكون موضوع الاتفاق بين الطرفين جائزاً وتقره مبادئ القانون الدولي . ولذا فإن كل تعاقد يتعارض مع هذه الشروط يُعَدُّ في حكم الملغى ولا يلزم لا أطرافه ولا أية أطراف أخرى . وقد قام وعد بلفور على أساس المقولة الباطلة المزيفة : «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» ، والمقولة هذه هي مقولة استعمارية إحلالية ، بدليل أن عدد اليهود في الأراضي الفلسطينية عند صدور «وعد بلفور» كان لا يزيد عن ٥٪ من مجموع عدد السكان الأصليين .

وارتكز بطلان وعد بلفور ذلك الوعد المشؤوم أيضاً على أنه يقوم بمنح أرضاً لم تكن لبريطانيا أية رابطة قانونية بها . فبريطانيا لم تكن تملك فلسطين وقت إصدارها هذا الوعد وهذا التصريح . إذ إن قوات بريطانية العسكرية قامت باحتلال أرض فلسطين بدءاً من مدينة غزة في ٧ تشرين الثاني «نوفمبر» عام ١٩١٧م . واحتلت مدينة القدس في ٩ كانون الأول «ديسمبر» من العام نفسه . وفي أيلول «سبتمبر» عام ١٩١٨م احتلوا شمال فلسطين . وحتى ذلك الحين كانت فلسطين جزءاً لا يتجزأ من الدولة العثمانية التي رفضت بدورها تصريح بلفور . ولم تعترف بحق اليهود في الأراضي الفلسطينية [١] .

لقد كان «آرثر جيمس بلفور» كما تقول ابنة أخيه ومؤرخته السيدة «بلانش دو جاديل» : «قد تأثر منذ نعومة أظفاره بدراسة التوراة في الكنيسة ، وكان كلما اشتد عوده ازداد إعجاباً بالفلسفة اليهودية، وكان دائماً يتحدث باهتمام عن ذلك ، وما زلت أتذكر في طفولتي أنني اقتبست منه الفكرة القائلة بأن المسيحية وحضارتها مدينتين بالشيء الكثير لليهودية ، لكنهما سددتا هذا الدين في أبشع صورة» [٢] . إشارة لاضطهاد النصارى على مدى العصور لليهود .

ويقول «وايزمان» رئيس المنظمة الصهيونية وأحد مؤسسي دولة إسرائيل : «أتظنون أن لورد بلفور كان يحابينا عندما منحنا الوعد بإنشاء وطن قومي لنا في فلسطين ؟ كلا ، إن الرجل كان يستجيب

(١) ينظر : مسؤولية بريطانيا عن عدم مشروعية ونتائج وعد بلفور والإنتداب ، كمال قبعة ، (مجلة شؤون فلسطينية – رام الله – فلسطين - العدد ٢٦٦ – ٢٠١٦م) ص٣٤ .

(٢) ينظر : البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي – الصهيوني (دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية) ، الدكتور يوسف الحسن ، ط١(مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ١٩٩٠م) ص٣٢ .

لعاطفة دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد القديم» [١] .

وكانت أطروحات ما يسمى بشعب الله المختار وحقه في أرض فلسطين التي يزعم اليهود أنها أرض الميعاد ، وكذلك تحقيق النبوءة المزعومة بتجميع اليهود في دولة إسرائيل في الإراضي الفلسطينية ، من أبرز معتقدات بلفور التوراتية التي يؤمن بها ، والتي ورثها في طفولته وتربى عليها في نشأته في إحدى الكنائس الإنجيلية الإسكوتلاندية [٢] .

ومما يلفت النظر هو أن بلفور لم يرَ في اليهود مجرد أداة لتحقيق «العصر الألفي المسيحي» ، بل أنه أصرَّ على عَدِّهِم أناس منفيون يعيشون بعيداً عن وطنهم الأم ، فخالجته تلك الفكرة القاتلة التي تقول بوجوب إعادة وطنهم القديم ، وأكد ذلك بنفسه للزعيم الصهيوني اليهودي وايزمان عندما اجتمع به عام ١٩٠٦م وأكد له ضرورة أن تقدم المسيحية «البروتستانتية» كل قدراتها إلى اليهود لتحقيق فرصة العودة إلى وطنهم [٣] .

ولأجل تنفيذ مؤامرة وعد بلفور المشؤوم قامت بريطانيا بتعيين اليهودي الصهيوني «هربرت صموئيل» كأول مندوب سام على الأراضي الفلسطينية للفترة الممتدة من «١٩٢٠ – ١٩٢٥م» . والذي كان بدوره وزيراً للداخلية في الحكومة البريطانية وكان متعاطفاً مع الحركة الصهيونية . وما إن وصل «صموئيل» إلى القدس الشريف فإنه لم يوفر وقتاً ولم يألُ جهداً في أن يحوِّل الحلم الإستعماري الصهيوني إلى واقع على الأراضي الفلسطينية . وقام بترجمة ذلك عبر خطط وإجراءات وقوانين . وقام بإنشاء المؤسسات والبنى السياسية والبنوك والمؤسسات الاقتصادية . وفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية . وقيامه بإشراك الوكالة اليهودية في إدارة فلسطين وتعزيز وجودهم الديني والثقافي . إلى الحد الذي باتت معه كل هذه السياسات البريطانية مكشوفة ومفضوحة لشعبنا العربي الفلسطيني الذي رأى في الإنتداب البريطاني مؤامرة دولية أحيكت ضده هدفها الإيفاء بوعد بلفور . وتحت سمع وبصر البريطانيين . لقد ارتكبت العصابات الصهيونية الكثير من أعمال القتل والترويع بحق الفلسطينيين . ومن أهمها مجزرة «دير ياسين» قبل شهر من الإنسحاب البريطاني . وفي ظل الإنتداب تحول الوجود اليهودي على الأراضي فلسطينية من «٥٪» من مجمل السكان إلى «٣٣٪» وذلك بفضل تسهيلات الهجرة . وكذلك ازدادت نسبة الأراضي التي يملكها

(١) ينظر : القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ ، الدكتور محمد علي البار ، ط٢(دار الفقيه – القاهرة – ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م) ص٢٣٤.

(٢) ينظر : البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ص٣٢ .

(٣) ينظر :القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ ص٢٣٤ – ٢٣٥ .

اليهود من «٢٪» إلى «٧٪» وذلك بفضل القوانين البريطانية التي سَهَّلَتْ تملك الأراضي من قبل اليهود والتشدد حيال العرب [١] .

ومنذ صدور هذا الوعد ، ورغم مرور ما يقرب من «١٠٨» سنوات على صدوره ، فيوم الثاني من شهر «تشرين الثاني» «نوفمبر» من كل عام أصبح موعداً تعرب فيه جماهيرنا العربية عامة والفلسطينية خاصة عن احتجاجها ورفضها وسخطها لهذا الوعد المشؤوم الذي كان له دور أساسي في اغتصاب الصهاينة اليهود لأرضنا في فلسطين وتهجيرهم للآلاف من اليهود إليها ، وقيامهم فيما بعد إعلان دولتهم اليهودية على مساحات واسعة من ترابها . وتم إطلاق صفات كثيرة على هذا الوعد شاع معظمها تقريباً ، ومن أشهرها : «الوعد المشؤوم» ، و «الوعد ممن لا يملك لمن لا يستحق» ولا شك أن المعنى الحقيقي لوعد بلفور المشؤوم قد ترسخ في أذهان الأجيال ، باعتباره التصريح الرسمي الأول الصادر عن دولة عظمى يضمن لليهود الصهاينة إقامة كيانهم الخاص على الأراضي الفلسطينية .

وبالمعنى ذاته فقد كان وعد بلفور المشؤوم يعد كأول تصريح دولي رسمي أعلن فيه عن اغتصاب قطعة أرض من وطننا العربي وتسليمها كهدية للصهاينة المغتصبين . فالوعد تضمن ذكر تأسيس وطن قومي لليهود ، لكنه لم يتضمن أي حديث عن فلسطين كشعب وكوطن ، إلا أنه اكتفى وبسبب مقاومة بعض المعارضين في وزارة بريطانيا بإعلان أن ذلك سيتم دون الإضرار بمصالح أهل البلاد [٢] .

وجاء صدور هذا الوعد «وعد بلفور» بعد ما يقرب من عشرين عاماً من نشاط الصهاينة المنظم والدؤوب الذي بدأه «ثيودور هرتزل» من أجل إقامة دولة يهودية في الأراضي الفلسطينية . والكثير من كتب التأريخ كانت وما زالت تنسب صدور هذا الوعد إلى ذلك النشاط الصهيوني ، إلا أن الحقيقة التي تتضح لنا من خلال قراءة التاريخ وأحداثه المتواترة تبين لنا أن نية الدول الإستعمارية على تفتيت الدولة العثمانية كانت سابقة بكثير على بدء النشاط الصهيوني ، ومخطط اغتصاب الأراضي الفلسطينية ، وتسليمها إلى يهود أوربا مخطط قديم نادى به القائد الفرنسي نابليون بونابرت نفسه أثناء غزوه للشرق ، كما نادى به الكثيرون غيره من قبله ومن بعده [٣] .

---

(١) ينظر : مسؤولية بريطانيا عن عدم مشروعية ونتائج وعد بلفور والانتداب ص٤٣ – ٤٤ .

(٢) ينظر : صك المؤامرة : وعد بلفور ، جميل عطية إبراهيم – صلاح عيسى ، ط١(دار الفتى العربي – القاهرة – ١٩٩١م) ص٥ .

(٣) ينظر : المرجع نفس ص٥ – ٨ .

المطلب الثاني: ممارسات الإحتلال الصهيوني الإرهابية ضد الفلسطينيين

احتل اليهود ما تبقى من القدس عام ١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٧م ، ودمرت قنابلهم عدداً من المساجد الإسلامية والكنائس النصرانية والمدارس والمستشفيات وأحرقتها . وأصابت قنابلهم المسجد الأقصى بأضرار ، وأوقعت خراباً في مئذنة باب الأسباط وغير ذلك مما نتج عن القصف العشوائي المتعمد .

وبعد ساعات قليلة من احتلال اليهود للقدس وصل «موشي دايان» «وزير الشؤون الخارجية الصهيوني سابقاً» ومعه عدد من زعماء اليهود مدينة القدس واتجهوا جميعاً إلى حائط البراق ، وقال دايان عند الحائط : «رجعنا ولن نتخلَّ عن القدس» . وقال «ليفي أشكول» رئيس حكومة العدو الصهيوني : «إن هذا يوم عظيم في التاريخ اليهودي» ، وصرح «أبا إيبان» وزير خارجية العدو قائلاً: «إن إسرائيل لا تفكر في الإنسحاب من القطاع الأردني بالقدس» (١) .

وقد أهان اليهود المقدسات الإسلامية وغير الإسلامية في مدينة القدس ، فدخلوا القدس الشريف بصورة خليعة ، وبصورةٍ تَحَدٍّ لشعور المسلمين ليس بالنسبة لأهلها فحسب ، بل لكل المسلمين في كل ديارهم وأماكن تواجدهم . ففي اليوم الثالث من شهر آب «أغسطس» اشتبك المسلمون العرب من سكان القدس الشريف مع بعض الجنود اليهود بسبب دخول هؤلاء إلى بيت المقدس الشريف بصورة خليعة مزرية . وقام رئيس حاخامات جيش الاحتلال الصهيوني في ١٥ آب «أغسطس» سنة ١٩٦٧م الموافق ١٣٨٧هـ بإقامة الصلاة اليهودية من أجل هيكلهم المزعوم ، وأقيمت مثل تلك الصلوات عدة مرات في بيت المقدس من قِبَلِ الجنود واليهود غير العسكريين وبعض المنظمات اليهودية (٢) .

وفي اليوم الثامن عشر من شهر آب «أغسطس» سنة ١٩٦٩م الموافق ١٣٨٨هـ قام جماعة من اليهود الأوربيين بزيارة حائط البراق ثم المسجد الأقصى المبارك وقاموا بأداء طقوس دينية يهودية حول مسجد قبة الصخرة وهم يتلون مزامير وأدعية يهودية وبعض الفقرات من توراتهم اليهودية . فضلاً عن مجموعة أناشيد صهيونية ، وتحدوا بذلك كل الشعور الإسلامي المحلي والخارجي ، محاولين بذلك لفت أنظار العالم إليهم ، طامعين في الإستيلاء التام على المسجد الأقصى

---

(١) ينظر : القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف ، عبد الفتاح حسن أبو علية ، (دار المريخ للنشر – الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ص١٥١ .

(٢) ينظر : المرجع نفسه .

الشريف بكامله ، ثم تدميره لإقامة معبدهم في تلك البقعة الإسلامية المقدسة [١].

لم يكتفِ الصهاينة اليهود عند هذا الحد من إهانتهم واستهزائهم بالمسلمين في كل بقاع الأرض ، بل قاموا بأعمال إجرامية جديدة تضاف إلى ممارساتهم الإجرامية في القدس الشريف ، ففي تمام الساعة السابعة من صباح يوم الخميس بتاريخ السابع من «جمادي الآخرة» سنة «١٣٨٩هـ» الموافق «٢١ آب» «أغسطس» من سنة «١٩٦٩م» دبَّرَ اليهود مسألة الحريق العظيم للمسجد الأقصى ، مما أدى إلى خسائر فادحة مادية ومعنوية لا تقدر بثمن أو مال . فالتهمت النيران المنبر العظيم الذي أمر بصنعه الملك العادل نور الدين محمود زنكي رحمه الله تعالى سنة ٥٦٤هـ الموافق للعام ١١٦٨م لمسجد حلب ، ثم نُقِلَ بعد مدة إلى المسجد الأقصى في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى ، وكان ذلك سنة ٥٨٣هـ الموافق للعام ١١٨٧م . فكان الخراب عظيماً ، فقضى الحريق أيضاً على قبة خشبية داخلية من قبة الأقصى الشريف ، بكل زخارفها وبكل ما فيها من فنٍّ إسلامي بديع مصنوع من خسب الأبانوس المطعم بالفضة دون استخدام المسامير من الخشب ، والتهمت النيران أيضاً الجناح الشرقي من المسجد الأقصى ، والقسم المعروف بجامع عمر بن الخطاب . والتهمت النيران أيضاً سقف المسجد الأقصى الجنوبي ومحراب الناصر صلاح الدين ، وغيرها الكثير من التحف التاريخية التي لا تقدر بثمن [٢] .

لقد واجه السكان الأصليون لفلسطين المحتلة مصاعب عديدة في الصُعد كافة ، ولكنهم صمدوا صموداً عظيماً يستحق الثناء ، وقام الإحتلال الصهيوني بمصادرة أملاك الفلسطينيين المقيمين في وطنهم ، حيث صادر ٧٠٪ من أراضيهم ، وجرى التمييز ضدهم في مجالات التعليم والوظائف وتوفير مياه الري .

لقد عاش عرب ١٩٤٨م تحت قوانين وتنظيمات الطوارئ حيث لايسمح لهم بالإنتقال إلا بتصريح خاص ، كما يمكن لأي عذر طردهم من أراضيهم واستيلاء السلطة عليها دونما تعويض ، وكان كل عربي فلسطيني غادر مدينته أو قريته بعد ١٩٤٧/١١/٢٩م عرضة لأن يُصَنَّفَ كغائب حتى ولو انتقل من منطقة في نفس الأرض المحتلة ، كما أن قانون تملك الأرض يسمح بامتلاك ليس الأراضي الوقفية فحسب ، بل أي أرض بحجة المصلحة العامة أو حتى إقامة مستوطنات [٣] .

---

(١) ينظر : المرجع نفسه ص ١٥١ – ١٥٢ .

(٢) ينظر : القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف ص١٥٢ .

(٣) ينظر : القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ ص٤٠٠ – ٤٠١ .

وقد يعلن الحاكم العسكري أن إحدى المناطق العربية هي منطقة محظورة ، وبهذه الحالة لا يستطيع العرب أصحاب هذه الأرض من دخولها ، وبالتالي يترك أرضه دون اعتناء ، وهنا يطبق عليه قانون ١٩٧٣ حيث إن الأرض الزراعية المهملة تصبح عرضة للمصادرة (١) .

وهكذا استطاع الكيان الصهيوني من خلال إجراءآته الظالمة والتعسفية المتمثلة في مصادرته للأراضي في مدينة القدس لحسابه ، وهو لا شك أمر لا يستند إلى الحق ، ومخالف للقانون الدولي مخالفة واضحة وصريحة (٢) .

ومن المظاهر التعسفية الإسرائيلية هي أن اليهود الصهاينة قاموا بمنع السكان الفلسطينين العرب من البناء في مساحات واسعة شملت مناطق كثيرة من مدينة القدس . وقامت السلطات الصهيونية بتحديد مناطق كثيرة وواسعة أطلقت عليها اسم «المناطق الخضراء» يمنع إقامة البناء عليها كونها حدائق ومتنفس للمدينة ، وفي الواقع ما هي إلا وسيلة لتفريغ السكان العرب من مدينة القدس الشريف . وبذلك تناقصت مساحات الأراضي العربية في مدينة القدس الشريف ، ولم يبقَ للأهالي سوى أراض محدودة داخل المناطق السكنية المقامة عام «١٩٦٧م الموافق ١٣٨٧هـ» (٣) .

وبعملية مصادرة الأراضي الفلسطينية هذه من قبل سلطات الكيان الصهيوني والتي اتبعها هذا الكيان في مدينة القدس ، أصبح الصهاينة اليهود يسيطرون على ما يقرب من «٥٦٠٠٠» دونم من مجموع «٦٣٠٠٠» دونم هي مساحة مدينة القدس القديمة ، أي القدس التي بقيت للعرب بعد تقسيم المدينة على أثر هدنة ١٩٤٩م الموافق ١٣٦٨هـ الموقعة بين مملكة الأردن والكيان الصهيوني . فبعد أن كان الفلسطينيون العرب يتحكمون بمساحة تقدر بـ«٨٣٪» من أرض مدينة القدس عام «١٩٤٨م» الموافق «١٣٦٨هـ» ، أصبحوا في نهاية سبعينيات القرن العشرين يتحكمون بـ «١٤٪» من أراضي المدينة ، في حين يملك اليهود الأجانب الذين يقيمون في مدينة القدس «٣٪» أما باقي الأراضي الفلسطسنية فقد سيطر الصهاينة اليهود عليها بطرق غير قانونية (٤) .

وعلى الرغم من كل المعطيات والتفاصيل سابقة الذكر ، حول مخططات ومشاريع وممارسات التفريغ والتهويد الصهيوني واسعة النطاق ، والمتلاحقة والمكثفة ، ورغم كل تلك الطاقات والإمكانات وأجهزة القتل والتدمير والقرارات الرسمية ، التي سخرت بالكامل لصالح سياسة التفريغ

(١) ينظر: المرجع نفسه ص٤٠١ .
(٢) ينظر : القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف ص١٥٦ .
(٣) ينظر : المرجع نفسه ص١٥٧ .
(٤) ينظر : المرجع نفسه .

والتهويد تلك ، إلا أن المواطنين الفلسطينين تمكنوا من الصمود والبقاء صامدين في بيوتهم ، متسلحين بإرادة صلبة وتصميم على مواصلة التصدي لتلك السياسة الغاشمة ، وبشكل خاص في بؤر التوتر الساخنة باستمرار في مدينة القدس القديمة . لقد برهن الفلسطينيون المقدسيون على عمق وقوة انتمائهم لوطنهم ودينهم وهويتهم عبر المسيرة النضالية الطويلة الماضية ، وتمكنوا من إحباط محاولات اقتلاعهم من بيوتهم ، بحيث اتضح إن الذين تركوا بيوتهم من الفلسطينيين تحت شتى أشكال الضغط والإجبار والظروف القاهرة ، أو تحت الإغراءات المالية الكبيرة ، عدد ضئيل منهم [١] .

وعندما لم يكن في استطاعة المستعمرين الصهيونيين أن يجلوا الأهالي العرب عن فلسطين وهم الأغلبية الساحقة من سكان فلسطين ، اكتفوا بالإنعزال عن المجتمع العربي وبمقاطعة الإنتاج العربي والأيدي العاملة العربية مقاطعة منهجية . ونتيجة لذلك ، تم إقرار مبدأ العزلة منذ العهد الأول للإستعمار الصهيوني الغاشم ، وبمقتضى هذا المبدأ لا يجوز استخدام أيدي عاملة في المستعمرات الصهيونية سوى الأيدي العاملة اليهودية . وبيقظة حادة سهرت الوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي وصندوق تأسيس فلسطين واتحاد العمل اليهودي على مراعاة هذا المبدأ الأساسي للإستعمار الصهيوني [٢] .

كما لا يخفى على أحدٍ أنه لم يكن في القدس حين دخلها المسلمون معابد ولا هياكل يهودية، بل لم يكن في القدس في ذلك الوقت سوى أقلية ضئيلة جداً من اليهود يكرههم ويمقتهم أهل المدينة الذين كانوا يدينون بالمسيحية ، ويضطهدهم الرومان الذين كانوا يحكمون القدس آنذاك ، ويحكمون فلسطين والشام ، رغم أن من بين اليهود كانوا يعملون عملاء وجواسيس للحكم الروماني ، ويعيشون بما يمارسونه من الربا والإتجار في الذهب والفضة . ولهذا اشترط المسيحيون على المسلمين وهم يسلمونهم المدينة ألا يسمحوا لليهود بالدخول إليها . ولكن تجيء هذه الأيام وتتعالى أصوات اليهود في أنحاء العالم ، بكل ما تتيحه لهم وسائل الدعاية والإعلان من أساليب التضليل والإفتراء . فنقرأ ونسمع ونرى كل يوم من يقول : إنَّ المسلمين أخذوا القدس وأخذوا فلسطين من اليهود ، واستولوا على هذه البلاد ، وحكموها قروناً عديدة ، ثم نهض اليهود من سباتهم واستبدلوا بضعفهم القوة والسلاح ، فاستردوا من المسلمين بلدهم اليهودي ومدينتهم

(١) ينظر : القدس بين مخططات التهويد ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية ، الباحث نواف الزرو ، ط١(دار الخواجة للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – ١٩٩١م) ص٥٧ .

(٢) ينظر : الإستعمار الصهيوني في فلسطين ص٣٣ .

اليهودية ! ويصدِّق العالم هذه الدعاية . بل إن في العالم العربي والإسلامي من يصدق هذه الدعاية أيضاً ، وهي ليست مجرد دعاية . بل أكذوبة من أكبر الأكاذيب ، ولكن التكرار والإلحاح يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة جعلا الأكذوبة الكبرى تبدو وكأنها حقيقة ، أو كأنها شيء قابل للتصديق . وللأسف فإننا نجد العالم الإسلامي والعالم العربي ساكناً مستكيناً ، وهو يقرأ بعينيه ويسمع بأذنيه أن الصهاينة قد فعلوا الأفاعيل بأهلنا في فلسطين عامة ، وما يحصل اليوم في غزة خاصة . فقد أباح الصهاينة كل شيء في غزة فقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ بدم بارد وأمام أنظار العالم بأسره الذي وقف مكتوف الأيدي . بل إن غالبية الدول العظمى تؤيد ما يفعله الصهاينة في أهلنا في غزة الجريحة [١] . ولكننا نؤمن إيماناً صادقاً بأن القدس ستعود يوماً لأهلها ، لأنه وعد من الله تعالى لنا . والله جلَّ وعلا لا يخلف الميعاد . فقال جلَّ جلاله في كتابه العزيز : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧﴾ [الإسرَاء: ٤ - ٧].

(١) ينظر : القدس الفتح الإسلامي – الغزو الصليبي – الهجمة الصهيونية ، عبد الحميد الكاتب ، (دار الشروق – القاهرة – بلا ت) ص١٦٥ – ١٦٦ .

الخاتمة

بعد كتابتي لبحثي هذا توصلت إلى النتائج الآتية :

١- لعب البابا أوربان الثاني بصفته بابا الكنيسة الأوربية دوراً كبيراً في نشوب الحرب الصليبية باسم السيد المسيح u ضد بلاد الشام عامة وبيت المقدس خاصة .

٢- خطب البابا أوربان الثاني خطبة وصفت بالعصماء أمام مجمع عقد في مدينة كليرمون في جنوب فرنسا ، استخدم خلالها وسائل عدة محاولاً فيها إقناع الحاضرين بوجوب توجههم إلى فلسطين العربية المسلمة لنصرة المسيحيين الشرقيين .

٣- استخدم البابا أوربان الثاني في خطبته مؤثرات استخدمها للتأثير على الحضور منها : تقديمه للوعود بغفران الذنوب لكل من يشارك في هذه الحملة ، ولا شك أن هذا الوعد كان مطلباً جماهيرياً في وقته ، لا سيما وأن الناس كانوا يشعرون بأن الدنيا فانية عما قريب .

٤- إن الدافع الديني لم يكن السبب الرئيسي للحملة الصليبية ضد بيت المقدس لما يحتله القدس الشريف في نفوس النصارى من مكانة عظيمة ، بل كانت هناك دوافع وأسباب أخرى منها: «الدافع الاقتصادي ، والدافع الاجتماعي ، والدافع السياسي» .

٥- أما ما يخص الإستعمار الصهيوني للقدس الشريف . فقد لعب المدعو «آرثر جيمس بلفور» وزير الخارجية البريطاني دوراً كبيراً لا يقل أهمية عن دور البابا أوربان الثاني بابا كنيسة روما في إرساء فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

٦- إن الوعد الذي وقعه بلفور في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٧م والمكون من «١١٧» كلمة حسب ما ورد في النص الإنجليزي ، أو «٧٢» كلمة حسب وروده في النص العربي ، بهذا الوعد غيَّر المدعو «بلفور» جغرافية وتاريخ منطقة بالكامل ، فقد أدت نتائج هذا الوعد إلى القيام باقتلاع شعب من أرضه دونما حق أو سند أخلاقي أو قانوني ، ليُزْرَعَ مكانه وعلى أرضه شعب آخر.

٧- إن العالم بأسره يدرك تماماً أن وعد بلفور باطل عمليَّاً وموضوعيَّاً . إذ إن موضوع الوعد يقوم على التعاقد مع الكيان الصهيوني لإبعاد الشعب الفلسطيني من دياره وأرضه والقيام بإعطائها إلى شرذمة غرباء ، ومن الجدير بالذكر أن من شروط التعاقد الدولي أن يكون موضوع التعاقد مشروعاً، أي أن يكون موضوع الاتفاق بين الطرفين جائزاً وتقره مبادئ القانون الدولي.

٨- مارس الإستعمار الصهيوني المعاصر أساليب شتى لاقتلاع عرب فلسطين من ديارهم وأراضيهم ومصادرتها منهم ، ولكنهم سطروا أروع الصور في صمودهم ومقاومتهم لهذا الاحتلال الغاشم .

٩- عندما لم يكن في استطاعة المستعمرين الصهيونيين أن يجلوا الأهالي العرب عن فلسطين، وهم الأغلبية الساحقة من سكان فلسطين ، اكتفوا بالإنعزال عن المجتمع العربي ، وبمقاطعة الإنتاج العربي ، والأيدي العاملة العربية مقاطعة منهجية . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ...

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- الإستعمار الصهيوني في فلسطين ، الدكتور فايز صايغ ، (مطبعة أطلس – القاهرة – بلا ت) .

٢- أوربا العصور الوسطى ، دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، (مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٥٩م) .

٣- البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي – الصهيوني (دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية) ، الدكتور يوسف الحسن ، ط١(مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ١٩٩٠م) .

٤- الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط٢(مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٧١م) .

٥- الحروب الصليبية أسبابها ، أحداثها ، نهايتها ، الدكتور شوقي أبو خليل ، ط١(دار الفكر – دمشق – ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) .

٦- الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، دكتور محمد مؤنس عوض ، ط١(عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية – الجيزة – ١٩٩٩ – ٢٠٠٠م) .

٧- صك المؤامرة : وعد بلفور ، جميل عطية إبراهيم – صلاح عيسى ، ط١(دار الفتى العربي – القاهرة – ١٩٩١م) .

٨- في فقه الصراع على القدس وفلسطين ، الدكتور محمد عمارة ، ط١(دار الشروق – القاهرة – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م) .

٩- القدس الفتح الإسلامي – الغزو الصليبي – الهجمة الصهيونية ، عبد الحميد الكاتب ، (دار الشروق – القاهرة – بلا ت) .

١٠- القدس بين مخططات التهويد ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية، الباحث نواف الزرو، ط١(دار الخواجة للنشر والتوزيع – عمان – الأردن –١٩٩١م) .

١١- القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف ، عبد الفتاح حسن أبو علية ، (دار المريخ للنشر – الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) .

١٢- القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ ، الدكتور محمد علي البار ، ط٢(دار الفقيه – القاهرة – ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م) .

١٣- قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي ، دكتور راغب السرجاني، ط٢ (مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة – القاهرة – ٢٠٠٩م) .

١٤- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، ط٣(دار صادر – بيروت – ١٤١٤هـ) .

١٥- ماهية الحروب الصليبية ، د. قاسم عبده قاسم ، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ١٩٧٨م) .

١٦- مسؤولية بريطانيا عن عدم مشروعية ونتائج وعد بلفور والإنتداب ، كمال قبعة، (مجلة شؤون فلسطينية – رام الله – فلسطين - العدد ٢٦٦ – ٢٠١٦م) .

١٧- المقدمات التاريخية والسياسية لوعد بلفور ، عبد الغني سلامة ، مجلة قضايا إسرائيلية، مجلة فصلية تصدر عن (مؤسسة الأيام – رام الله - فلسطين – السنة السابعة عشر – العدد الخامس والستون – ١٩١٧م) .